أثر البيئة التبسية في تشكيل الوعي الحضاري لدى المصلحين الجزائريين

د. أحمد عيساوي
جامعة باتنة - الجزائر –

ملخص :

تتناول هذه الدراسة التعريف بمجهودات الأعلام التبسيين في النهضة الجزائرية الحديثة . حيث عرفت مدينة تبسة مع مطلع القرن العشرين حركة وحيوية نهضوية متميزة، بدت من خلال سعي رجالها وأعلامها للنهضة والرقي بالمجتمع التبسي، فأسسوا أول مدرسة عربية حرة سنة 1913م كان لها الدور الفعال في تنمية الوعي في المجتمع التبسي .كما أنشأوا النوادي الرياضية والثقافية والفكرية والفنية والكشفية، حتى وصفها العلامة ابن باديس خلال رحلته إليها صيف 1928م، كما وصفها أيضا المفكر مالك بن نبي في كتابه مذكرات شاهد القرن .

Resumé

Cette étude contient la définition des éfforts des savant Tébessiene dans la nouvelle renaissance Algérienne . au début du vingtement siécle ; la ville de Tébéssa connut une exptionelle mouvement et dynamisme renaissancement .

Et cette dérniere apparait au cours de s'efforce de leur homme ; et leur savant a cause renaissance et peogrés la société Tébéssinne .

Alors ; ils instituent la premier école Arabe libre au 1913 , elleest un role éfficace de grandir la conscience dans la société Tébéssinne .

Comme ils ont institué des clubes sportif , culturel , intélectuaile , Artistique , et scoutisme , meme l'erudit Ibne Badisse décrit-elle au son voyage à l'été de 1928 . et aussi le penseur Malek ben nabi décrit elle à son ouvrrage « Témoin du siécle » .

*** الإشكال والمنهج :**

تجهل كثير من النخب المثقفة الجزائرية - فضلا عن العربية والإسلامية –مكانة مدينة تبسة الثقافي والحضاري، حيث عرفت وجود التجمعات السكانية فيها منذ فجر التاريخ، وذلك بما أثبتته الحفريات الأثرية والأطلال الدارسة لحضارة الأمم المتعاقبة عليها، منبأة عن وجود الحياة

البشرية الأولى في ربوعها منذ ما يقارب الإثنى عشر ألف سنة قبل الميلاد، كما تشير بذلك الكثير من الحفريات والمصادر الأثرية والتاريخية .

فضلا عن الدور الثقافي والحضاري الواعي الذي شكلته في النهضة الجزائرية الحديثة، وبما كانت تشكله من بوابة للشرق، ورئة للعروبة، وأريج لهبوب نسمات ريح الشرق العربي الإسلامي عليها، ومنه إلى سائر الجزائر، بحكم مرور القوافل التجارية والدينية للحجيج نحو الشرق عبر طريقها الداخلي الصحراوي الآمن . ولعل بهذا المقال التاريخي الوصفي نزيح غبار النكران والنسيان الذي ران على مدينتنا التي أنجبت خيرة العلماء في الماضي والحاضر.

*** أثر البيئة التبسية الثقافي :**

اضطلعت تبسة بدورها الحضاري منذ أن دخلها المسلمون الفاتحون الأوائل كبوابة للعروبة، وكرئة حيوية لتنسم عبير الشرق العربي، وكأريج منعش للحضارة العربية الإسلامية في الجزائر، وكمنفذ باتجاه الشرق العربي الإسلامي . الذي كانت تراه أساسيا لبقائها، ومددا حيويا لروحها وحياتها، وظلت كذلك طيلة هيمنة وسيطرة الممالك والدول الإسلامية المتعاقبة عليها، حتى دخول الفرنسيين غازين محتلين أراضيها يوم 31/ماي/1842م، فساهمت القبائل التبسية في صد العدوان الفرنسي، واضطلعت بالدور الجهادي في العهد الاستعماري، وظلت تناوىء الاستعمار حتى نهاية القرن التاسع عشر، إذ هادنت قبائل تبسة السلطة الاستعمارية هدنة شكلية فقط سنة 1897م، محتفظة بغيظها وعداوتها لها حتىُ ترمم أوضاعها التي تأثرت كثيرا تحت ضغوطات الحملات القمعية المستمرة . [1]

كما كان لها دورها الفعال بمشاركتها الجهادية في ثورة الطريقة الرحمانية الشهيرة العارمة التي اجتاحت القطر الجزائري كله، بعد هزيمة فرنسا أمام القوات الألمانية في حرب السبعين بقيادة بسمارك عام 1871-1872م، وبعد فشل الثورةُ أعدم شيخ الجهاد فيها وممثل الطريقة الرحمانية الشيخ [سيدي محمد الشريف الرحماني] – يرحمه الله -، وهو أحد القادة الروحيين لثورة الزاوية الرحمانية فرع تبسة سنة 1872/1871م، ثمُ حمل رأسه إلى فرنسا، ووضع للعرض في متحف الإنسان بباريس، وصنف ضمن " المجموعات الإنثربولوجية " بمتحف باريس . [2]

---

[1] - لمزيد من التوسع انظر: شلالي عبد الوهاب، دور منطقة تبسة في مقاومة الاستعمار، دار الهدى، عين مليلة، الطبعة الأولى، 2006م، ص 33 ..

[2] - نشرت المجلة التاريخية الفرنسية في شهر أفريل 2006م، وثيقة تاريخية تعود إلى سنة 1885م، بتوقيع الدكتور " ف . ريبو " وهي عبارة عن نص الرسالة التي

وهكذا ظلت تبسة تُقدم التضحيات والمزيد من الصمود في سبيل المحافظة على مقومات الهوية الوطنية الجزائرية لتظهر مساهمتها المتميزة في مشاركتها الفعالة في تمرد عام 1916- 1917م الشهير ضد الإدارة الاستعمارية، فيما سمي بتمرد الأعراش الأوراسية، أو تمرد الأوراس . [1]

كما شهدت أيضا بوادر الحركة الإصلاحية التنويرية في بدايات القرن العشرين، وتأسيسها المتميز لأول مدرسة عربية حرة سنة 1913م، وتأسيس الجمعيات الأدبية والدينية والثقافية المختلفة، والتي نوهت بها جريدة النجاح بشكل ملفت للنظر، فقد نقلت جريدة النجاح [2] على صفحاتها

أرسلها مدير متحف الإنسان بباريس إلى مدير المجلة يشرح له في مراسلته تلك إرسال قيادة الجيش الفرنسي العامل في الجزائر مجموعة من رؤوس قادة وزعماء المقاومة الشعبية، وقد تضمنت رسالة مدير المتحف إلى رئيس تحرير المجلة أسماء لرؤوس أولئك الزعماء، حيث علقت في أذن كل رأس وثيقة معلومات عامة عنه، وقد ذكرت المراسلة أسماء قائد مقاومة الزعاطشة " الشريف بوبغلة " والقائد " بوزبان " وشريف تبسة، بالإضافة إلى رؤوس مئات المقاومين الشهداء الجزائريين وهذا نص المراسلة : ((تلقينا من أحد المتعاونين مع المجلة السيد الدكتور " ف . ريبو " الرسالة التالية التي تحتوي على تصريحات سيطلع عليها القارىء دون شك باهتمام : سيدي الرئيس : إن رأس " بوزيان " التي قطعت حسب تصريحات السيد " فيران " بعد حصار الزعاطشة تم الاحتفاظ بها مثلما احتفظ برؤوس " بوبغلة " والشريف الذي قتل في المعركة التي حدثت تحت أسوار تبسة من طرف الملازم " جابي " وهي الآن جزء من المجموعات الانثربولوجية بمتحف باريس . وأنا الذي قمت بإرساله إلى هذه المؤسسة الغنية بمحتوياتها التاريخية، وعلى كل رأس من تلك الرؤوس توجد بطاقة – عبارة عن قرطاس طويل – كتب عليها اسم الشريف الذي تم قطع رأسه، وتاريخ موته، وختم المكتب السياسي لقسنطينة، وتوقيع السيدين " دو نوف " و " غريزلي " . وفيما يلي أذكر لكم الظروف التي وقعت فيها بين يدي : ...)) التوقيع " ف . ريبو " . نقلا عن سعيد جاب الخير مترجم الرسالة، جريدة الشروق اليومي، عدد 1676، الأربعاء 03/ماي/2006م الموافق 05/ربيع 1427/2هـ، ص 18، بتصرف .

[1] - انظر : أبو القاسم سعد الله، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م، ج 2، ص 240 .

[2] - تعريف موجز بجريد النجاح الجزائرية 1919-1956م :

أول صحيفة جزائرية حرة تظهر بعد الحرب العالمية الأولى، ساعد في إخراجها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد ظهرت جريدة أسبوعية في بداية أمرها، وفي سنة 1930م صارت يومية يطبع منه خمسة آلاف نسخة، وقد رئس تحريرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي الطولقي، ثم انضم إليه إسماعيل مامي، وهي جريدة إخبارية عامة، سايرت الإصلاح الفردي قبل 1931م، ثم مشت في ركاب الجمعية في

جانبا مهما من الوعي الحضاري لسكان تبسة في العديد من المناسبات، كما كانت تنشر المقالات والأبحاث والكتابات والخطب والدروس والمواعظ لمصلحيها أمثال الشيخ " مقداد العابد "، الذي كانت له سلسلة المقالات والدراسات والأبحاث الدينية المتميزة بالصفحات الطوال في علم الأصول والفقه والفرائض والفلك حتى كان ُيسمى بالفلكي، و الشيخ " سليمان بن طيار البيضاوي "، إمام الجامع العتيق والوحيد في المدينة، ورمز الهوية العربية الإسلامية في البلدة، ورمز الوحدة والصمود العربي الإسلامي فيها، حيث كانت تنشر مواعظه ودروسه وفتاويه وخطبه وكلماته في صحيفة النجاح المستقلة الصادرة بمدينة قسنطينة، والشيخ العلامة " العربي التبسي " الزيتوني الأزهري، الذي كانت تنعته أسفل كل مقال يرسله بالعبارة التالية : " هذا المقال لفضيلة المفكر النشيط صاحب الإمضاء المقيم بالقاهرة " . [1]

كما برز الكثير من علمائها ورجالها المصلحين، من أمثال : [عباس بن حمانة ت 1914م]، وابنه المصلح النائب المالي العمالي في مجلس العمالة [علي عباس بن حمانة]، و [حواس عبد العزيز حواس] و [الصادق بوذراع] والشيخ العلامة [الصادق بن خليل درباسي الأزهري] والشيخ العلامة [محمد الرزقي الشرفي الأزهري] والشيخ العلامة [علي رحومة الزيتوني] والشيخ [علي هوام الزيتوني] و [محمد شريط المدعو : حمى لوكسي] و [وعمر بن نابي] والد المفكر مالك والشيخ العلامة الأزهري [عسول عسول العبيدي الأزهري] والشيخ [عيسى ميهوبي الزيتوني] و [حمى العمري – رئيس البلدية الإسلامية سنة 1948م] والشيخ العلامة [مقداد العابد] والشيخ [محمد بن أحمد الجلالي] والشيخ المصلح [سليمان الميزابي] والشيخ [علي العنق] والشيخ العلامة [سليمان بن طيار البيضاوي] والشيخ العلامة [محمد

سنتها الأولى، ثم اختارت مواكبة جمعية السنة والطرقيين، توقفت عن الصدور أثناء الحرب العالمية الثانية 1939-1945م، وعاودت إلى حين توقفها سنة 1956م . وقد غطت الكثير من أخبار الوطن عامة وتبسة خاصة، كما نشرت العديد من أخبار الزعماء التقليديين الموالين لفرنسا كخطب الشريف محمد الشريف بن عمر الشريف، وغيره من الباشغاوات والقياد . وقد اطلعت شخصيا على كل أعدادها بأرشيف ولاية قسنطينة سنة 1997م، وصورت العديد من النسخ التي تخص الحركة الإصلاحية بتبسة . وهذا التعريف بالصحيفة قمت به بعد تصحفي لكل أعدادها . وقد أوردت تعريفا بها من خلال تقديم الدكتور محمد ناصر لها .

[1] - انظر جريدة النجاح : مسألة الخلافة، جريدة النجاح، عدد 295 ، 24 شوال 1344 هـ، الموافق 07 ماي1926م، ص 2 . وبرقية أهل تبسة، جريدة النجاح، عدد 296، 30 شوال1344 هـ، الموافق 14 ماي1926م، ص 2 . تبسة الجمعية الخيرية، عدد 144، الجمعة 01/فيفري/ 1924م، ص 3 .

الصالح الجلالي الزيتوني] والشيخ العلامة [الطيب بن مبروك باشا الزيتوني] ورجال الإصلاح الديني والاجتماعي [مصطفى ميدة] و [محمد بن مهرة] و [مسعود قصري] و [عبد الحفيظ مسقلجي] وسائر أعضاء وممثلي الجمعيات .. وعلى رأسهم المفكر الإسلامي [مالك بن نبي 1905-1973م] والشيخ العلامة [العربي التبسّي 1891-1957م] .. فضلا عن من ذكرناهم في كتابنا " مدينة تبسة وأعلامها " ممن عاش في القرون الهجرية المتقدمة من : العلماء والفقهاء والقضاة والوعاظ والأدباء والمؤرخين، أو ممن مرّ بها كأمثال الرحالة ياقوت الحموي والعلامة المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون . واضطلاعها بالدور الأكبر في إشعال لهيب الثورة التحريرية الكبرى، وشهودها لأكثر وأكبر معارك الثورة التحريرية المباركة، معركة الجرف الكبرى أيام 22 .. 28 /سبتمبر /1955م . [1]

[1] - انظر : شارل روبير آجرون، الاضطرابات الثورية في الأوراس والنمامشة 1916- 1917م، مجلة الأصالة، عدد 62، 63، السنة 7، ذو القعدة، ذو الحجة/1398هـ أكتوبر نوفمبر/1978م، ص 8 .. وأحمد عيساوي، مدينة تبسة وأعلامها، ص 22 .

*** سعي المصلحين التبسيين لرفع مستوى الشعب الجزائري :**

وبعد خضوع الأعراش التبسية وأهل المدينة للنفوذ الاستعماري وقبولهم التعامل مع مشروعات الإصلاح الفرنسية ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، انخرطوا في المجالس البلدية ومجالس العمالة وفي المجلس المالي والعمالي بالجزائر العاصمة، وانتخبوا ممثليهم فيها، وسعى ممثلوهم للدفاع عن حقوق أهل البلدة وفق الأدبيات المدنية الفرنسية، وفي هذا الإطار نقتطف من جريدة الشهاب البادیسية رغبة المصلح التبسي الشيخ (علي عباس بن حمانة) مطالبه في مجلس عمالة قسنطينة نيابة وممثلا عن المجلس البلدي لبلدية تبسة سنة 1928م بمناسبة تحضيرات السنة المئوية على احتلال الجزائر، رغبته الأكيدة في أن تمر الذكرى تلك المئوية للاحتفال بالبناء والتشييد ورفع مستوى الشعب الجزائري، لا من أجل تكريس الهيمنة والاستعمار وقهر الفرد الجزائري، ومما جاء في تغطية جريدة الشهاب تحت عنوان الاحتفال المئوي : ((.. وقام النائب الحر المخلص المقتدر السيد علي عباس نائب قسم تبسة، قام في مجلس لعمالة الذي كان قد انعقد منذ أسبوعين، فاقترح على المجلس أن تؤسس عدة مدارس للعربية مثل الثلاثة الموجودة [1]، تكون باسم الاحتفال المئوي لتبقى ذكرى هذا الاحتفال محفوظة عند أبنائها في المستقبل بصورة علم وعمران وعناية بالعربية لغة الوطن من فرنسا حافظة الجميع، فوافق المجلس على اقتراحه بالإجماع، ووافق عليه كذلك ممثل الحكومة بالمجلس السيد عامل العمالة، وقدم للمراجع العليا .)) . [2]

وقد ردت إدارة تحرير جريدة الشهاب بقولها : ((ونحن نضم صوتنا لطلب أولئك العظماء، ولاقتراح هذا النائب المحترم الموافق عليه من المجلس وممثل الحكومة حبا منا في
أن يكون الاحتفال كاملا في الظاهر والباطن لا يشوبه شيء من نقصان)) . [3]

*** الوعي الحضاري عند أهل تبسة:**

وقد تميز أهل تبسة عن غيرهم من سكان القطر الجزائري بحيوية الوعي الحضاري المتيقظ فيهم، حيث عرفت تبسة حركة نهضوية متسارعة مست البنى الأساسية للعقل وللوجدان الإنساني فيها، فقد كانت من بين أهم المناطق التي قاومت الاستعمار الفرنسي، كما ظلت تدير مقاومة شرسة ضده حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث اتخذت أشكالا

---

[1] - المقصود بالمدارس الثلاث الفرنسية الإسلامية (الفنكوميزيلمون) .

[2] - نقلا عن جريدة الشهاب، قسنطينة لخميس 26/جمادى 1347/1هـ الموافق 08/نوفمبر/1928م، ص 2 و 3، بتصرف .

[3] - انظر : المصدر السابق نفسه، ص 3 .

أخرى للمقاومة كتأسيس الجمعيات والنوادي والمراكز الثقافية والدينية والأدبية والتربوية والتعليمية والرياضية والفنية المحلية والجوارية والانخراط في مؤسسات الإدارة الفرنسية الرسمية والانتخابية . ولعل إلقاء الضوء على الحركة الجمعوية في ولاية تبسة مطالع القرن العشرين ما يكشف لنا أهمية الوعي الجمعي الذي عبر عنه المرحوم مالك بن نبي حينما وصفه بالشعور الجمعي المشترك الذي بدأ يتكون، وفي ذاتية القرار المشترك الذي بدأ يتشكل بين أهل تبسة .

*** إنشاء النوادي الثقافية والأدبية والرياضية :**

1 - نادي الشبان المسلمين :

أسس أعيان ومصلحو مدينة تبسة ناد ثقافي - كما دعا في كل بلدة إلى تأسيس نواد- يجتمع فيه الشبان المسلمون مساء كل يوم . يتجاولون فيه مع بقية المنتدين من طلاب العلم والمعرفة والثقافة، مختلف الموضوعات الفكرية والأدبية والثقافية والفنية .. وقد استؤجر له مقر مجاور للثكنة العسكرية الفرنسية وسط مدينة تبسة، وكان تأسيسه أوائل سنة 1937م . وسمي بـ (**نادي الشبان المسلمين الجزائريين**) . [1]

وكان نادي الشبان المسلمين بتبسة يضم نخبة من المثقفين والأدباء والشعراء والكتاب، أمثال الشيخ : [إبراهيم مزهودي، ومصطفى الزمرلي، ومحمد الشبوكي، والعيد مطروح، وعلي الساسي، وعيسى سلطاني، وإبراهيم روابحية، ومحمد محفوظي، والشاذلي المكي، وحامد روابحية، ومحمد السحيري، والطيب قواسمية ..]، فضلا عن أعيان تبسة وأعراشها الذين يزورونها في موعد السوق الأسبوعية وفي المناسبات، وكانوا يرتادون النادي يوميا أو أسبوعيا أو في المناسبات، فيحيون فيه ذكرى المناسبات الدينية، والأعياد الوطنية والعربية القومية بالقصائد الشعرية المؤثرة والخطب العصماء المعبرة والكلمات البليغة المقتضبة والمحاضرات الفكرية والثقافية والأدبية القيمة . [2]

---

[1] - انظر : مصطفى زمرلي، اجتماع عمومي لنادي الشبان المسلمين بتبسة، جريدة البصائر، سل 1، السنة 3، عدد117 . الجمعة 11/ربيع2/1357هـ الموافق 1938/06/10م، ص 6 .

[2] - انظر : المصدر السابق نفسه، ص 6 . وقد عثرت على قصيدة نونية للشيخ إبراهيم مزهودي كان قد ألقاها في النادي بمناسبة تأسيسه مهداة إلى عبقري وباعث النهضة التبسية الشيخ العربي التبسي، للاطلاع على القصيدة انظر : جريدة البصائر، سل 1، السنة 3، عدد 104، الجمعة 16/محرم/1357هـ الموافق 1938/18م، ص 7 .

وهكذا كان النادي الثقافي الفكري، الذي أنشأته الجمعية وسيلة من وسائل التربية الشمولية التي انتهجها مصلحو تبسة خلال نشاطاتهم التربوية الشمولية .

2 - الجمعيات المحلية :

وقد كان أهل وسكان كل بلدة ينشؤون جمعية محلية تابعة للجمعية الأم، من ذلك تأسيس أهل بلدة العوينات - شمال شرقي تبسة - جمعية محلية تابعة في روحها ومبادئها لجمعية العلماء، تسهر على تسيير شؤون المسجد والمصلين والمدرسة القرآنية وجمع الزكوات والصدقات، والمسارعة في جميع أعمال البر والإحسان، وإحياء المناسبات الدينية، وبث الوعي في نفوس الناشئة [1] . وكذلك الأمر في سائر القطر الجزائري .

وقد وصف الأستاذ مالك بن نبي دور النادي بتبسة بقوله : ((.. في المدينة أضحى النادي القلب الذي تنظم نبضاته جريان الأفكار وانتشارها . فالتبسيون كانوا يجتمعون فيه في الظروف التي تهم الناس جميعا . وكان رجال القبائل يترددون عليه أيضا حين يؤمون سوق المدينة وكانوا يحملون معهم الأفكار التي ينشرونها ليبذروها في الدواوير خلال السهرات تحت الخيمة ..)) [2].

3 - فريق كشافة الأمل :

وبعد تأسيس مدرسة التهذيب ونادي الشبان المسلمين وجمعية الوتر الجزائري للفن والموسيقى، قام محبو الإصلاح بتبسة بتأسيس فرقة كشافة الأمل بتبسة. وكان ذلك التأسيس يوم الجمعة في اجتماع شعبي عظيم 15/ذوالقعدة /1357هـ الموافق 06/جانفي/1939م، وقد ضم فريق كشافة الأمل قرابة المائة عنصر من سكان مدينة تبسة . [3]

---

[1] - انظر : علي هوام، تكوين الجمعية الدينية في العوينات، جريدة البصائر، سل 1، السنة 3، عدد 134، الجمعة 13/شعبان/ 1357هـ الموافق 1938/10/07م، ص 3 .

[2] - انظر : مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 185 ..

[3] - انظر : مصطفى زمرلي، فريق كشافة الأمل بتبسة، جريدة البصائر، سل 1، السنة 3، عدد 152، الجمعة 20/ذوالحجة/1357هـ الموافق 11/فيفري/1939م، ص 7 . وانظر صورة فريق كشافة الأمل في الملحق .

4 - جمعية الوتر الجزائري :

ثم يأتي دور إنشاء فرقة موسيقية فنية مقرها نادي الشبان المسلمين تسمى الوتر الجزائري، وقد دعي لتأسيسها الشيخ العربي . وقامت بإحياء العديد من المناسبات الدينية، والوطنية والقومية . [1]

وبهذه الطريقة يوسع مصلحو تبسة من استخدام الأساليب والوسائل المرفقية لزيادة أماكن الوعي في الأمة الجزائرية المقهورة بتجهيل الاستعمار لفئاتها الحية .

5 - الجمعيات الرياضية :

لم يقتصر دور مصلحي تبسة التربوي على الموسيقى والكشافة والتربية والتعليم والصحافة والنوادي المحلية فحسب، بل توسع ليشمل الرياضة فلما حلت بالجزائر فرقة رياضية فنلندية لكرة القدم أعضاؤها من الشبان المسلمين القاطنين بفنلندا من سلالات العائلات التركية القديمة، اغتنم أهل الإصلاح بتبسة بقيادة الشيخ العربي التبسي فرصة وجودهم بالجزائر لإجراء بعض المباريات الرياضية الودية فنظم لهم حفل شاي في مقر الجمعية ترأسه صحبة أعضاء المكتب الدائم والمجلس الإداري للجمعية تبادل فيها أسمى عبارات التضامن الإسلامي العظيم، ووزعت على أعضاء الفريق الرياضي هدايا تمثلت في مصاحف شريفة، ومجموعة جرائد البصائر، وبعض الزجاجات العطرية الفاخرة الجزائرية الصنع . [2]

كما ساهم مصلحو تبسة وعلى رأسهم الشيخ العربي التبسي في تأسيس الفرق الرياضية المحلية التابعة للجمعية ولمدارسها، وقد نقل تلاميذه في مدرسة التهذيب بتبسة من أنه أسس لهم فريقا رياضيا متعدد الأعمار، والرياضات . وكان يصطحبهم إلى ملعب تبسة البلدي كل يوم جمعة ليمارسوا الرياضة، وكذلك كان دأبه الدعوي في كافة أنحاء القطر الجزائري . [3]

*** الوعي الحضاري عند أهل تبسة :**

يصف الأستاذ مالك بن نبي في مذكرات شاهد القرن وضع تبسه الديني والاجتماعي والثقافي قبل مجي الشيخ العربي إليها بقوله : ((.. فثمة تطورات

---

[1]- انظر : علي هوام، الوتر الجزائري، جريدة البصائر، سل 1، السنة 3، عدد 104، الجمعة 16/محرم/1357هـ الموافق 1938/18م، ص 3 . وانظر أعداد البصائر التالية : البصائر، السلسلة الأولى، عدد 103، 11/مارس/1938م، وعدد 108، 15/أفريل /1938م، وعدد 10/جوان/1938م .

[2]- انظر : جريدة البصائر، سل 2، السنة 7، عدد 227، الجمعة 01/ذوالقعدة/1373هـ الموافق 02/جويلية/ 1954م . ص 8 .

[3]- انظر : محاضرة مخطوطة بيد الشيخ إبراهيم روابحية تلميذ الشيخ، ومدرس بمدرسة التهذيب سنوات 1946- 1956م

جديرة بالملاحظة تؤرخ لهذا التحول . فقد بدت حلقات الرقص تشهد فراغا من حولها، وكانت من قبل تستقطب في العادة الجزائريين يتزاحمون بالمناكب حول الحلبة، التي في داخلها يرقص كل زوج من الأوربيين والأوربيات ..

لقد بدت الروح الاجتماعية تتجلى في تبسة، وهاهو ذا المجتمع الجزائري الجديد قد ولد وأدعياء الثقافة الذين أطلقهم الاستعمار في السوق الجزائرية، والذين احتكروا بفضله وسائل التعبير قد شوهوا الأفكار الأكثر بداهة وبساطة . فمع هؤلاء انتقلت البلاد خلال ثلاثين عاما من الزوايا التي وضعت تحت قيادة (المقدم)، والقبيلة الخاضعة لسلطة سيدي الحاكم عبر (القايد) إلى جمهور من الناخبين لا اتجاه لهم ولا لون يقودهم الزعيم . وإلى عمال منظمين تستغلهم حفنة من اللصوص، وإلى جمعية طلاب يوحي إليهم ممثلوهم كيما يهرعوا زرافات إلى محاضرة ما، ويقاطعوا أخرى وفق الحسابات الدقيقة لسفارة أجنبية . لا شعور جمعي، ولا ذاتية قرار، وهما اللذان يكونان المجتمع ..)) .[1]

ثم يذكر تأثيرات الشيخ العربي المباشرة بعد عودته من مصر إلى تبسة بقوله : ((.. في شهر آذار من عام 1928م وجدت تبسة تغلي بحمى الإصلاح . لقد بني المسجد الجديد والمدرسة . وقد جمعت التبرعات من الناس من أجل البناء . وامرأة عجوز من " الزاوية " تبرعت بديك معتذرة بأن ذلك هو كل ما لديها . كل قد أسهم بحسب قدرته . وكان هنالك من أسهم لكي يراهن على المستقبل . فالمستقبل حتى تلك اللحظة كان في اتجاه إرادة الشعب . فكان للمرء أن يصبح مكافحا في سبيل الإصلاح لخدمة هذا الشعب أو لاستغلاله .

حتى " المقدم " الشريف الوقور مقدم الطريقة القادرية في تبسة أقفل زاوية تبسة بمحض إرادته، ووضع المفتاح تحت الباب ليصبح معلما بسيطا للقرآن في المدرسة..)).[2]

ثم يتناول توزع خط الإصلاح والتقليد بمدينة تبسة بعد مجيء الشيخ العربي بقوله : ((.. واتضح أكثر في تبسة خط التوزيع الإيديولوجي بين مريدي الشيخ الإمام " سي سليمان " ورواد الفكرة الإصلاحية يجتمع أولئك حول شيخهم بعد كل صلاة عصر عند صومعة المسجد العتيق في انتظار صلاة المغرب، ويجتمع هؤلاء حول الشيخ العربي التبسي بمخزن " سي الصادق بوذراع " . وكانت الخصومة حامية بين الطرفين، ولا شك أن الحكومة كانت

---

[1] - انظر : مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، ص 168 و 169 . بتصرف .

[2] - انظر : المصدر السابق نفسه، ص 184 و 185 .

أكبر منتفع من الخصومة، فكانت تدس في المعسكرين من يضرم نارها ..))[1].

والمتمعن في وصف صاحب مذكرات شاهد القرن الذي عاش في تبسة تلك الأحداث وعايشها يتبين عزم وإرادة أهل المدينة الأكيد على حب ممارسة الإصلاح ومدى سعيهم الدؤوب إلى التأثر برياح الإصلاح الهابة آنذاك على سكان مدينة .

كما عرفت - كغيرها - في مطلع القرن العشرين نهضة ثقافية وإصلاحية وإعلامية وسياسية وفي معرض حديثه عن طفولته بتبسة تناول المرحوم الأستاذ مالك بن نبي وضع مدينة تبسة الثقافي والتعليمي والتربوي والإصلاحي والسياسي والصراع القائم بين الزعيم السياسي الوطني الحر السيد عباس بن حمانة والزعيم ابن علاوة الذي كان من أنصار الإدارة الفرنسية .

كما تناول دور المسجد الجامع العتيق وشيخه المصلح الشيخ سليمان بن طيار، الذي بدأت على يديه حملة الوعي والإصلاح، وقد أشار إلى اضطلاع أعلام الإصلاح بتبسة مع الشيخ سليمان بالعمل الإصلاحي منهم الشيخ المرحوم الصادق بن خليل الدرباسي التبسي الأزهري، والشيخ عسول عسول العبيدي الأزهري، والشيخ الطيب بن مبروك باشا المغرسي .

وقد شهدت مدينة تبسة سنة 1913م الموافق 1331هـ تأسيس أول مدرسة عربية إسلامية حرة في الجزائر المستعمرة، وهي المدرسة الصديقية، التي اشترك في تأسيسها الرجلان (عباس بن حمانة) مع الشيخ (علي العنق الميزابي)، هذه المدرسة التي كانت من ثمار الجمعية الصديقية الخيرية

---

[1] - انظر : المصدر السابق نفسه، ص 341 . ورد في نص الأستاذ مالك بن نبي المصطلحات التالية :

1 - المقدم : هو شيخ الزاوية، وهي درجة دينية يمنحها له شيخ الزاوية الكبرى الأم .

2 - القايد : لقب إداري استعماري منحته السلطات الاستعمارية لرؤساء القبائل ممن يواليها لتسهيل مهمتها فيهم .

3 - سي سليمان بن طيار البيضاوي سبق التعريف به في كتابنا مدينة تبسة وأعلامها .

4 - سي الصادق بوذراع سبق التعريف به وبمخزنه الذي كان يبيع فيه القمح والقهوة وهو كائن في قلب تبسة القديمة .

5 - المسجد العتيق بتبسة سبق التعريف به، وفي الملحق صورة عنه .

6 - الزاوية : حي كبير بتبسة تسكنه عامة الناس بني حول زاوية سيدي عبد الرحمان العيساوي، وقد ولد فيه كل أعمامي .. وقد سبق التعريف بكل هؤلاء الأعلام في كتابنا (مدينة تبسة وأعلامها) دار البلاغ، 2005م.

الإسلامية بتبسة، والتي نوه بها الشيخ الصحفي (المولود الزريبي) [1] في جريدته (الصديق) بمقال تحت عنوان (أول مدرسة حرة نظامية بالقطر الجزائري) [2]، كما نوهت بها جريدة (البريد الجزائري) . [3]

ومما يدل على ارتفاع نسبة الوعي لدى سكان تبسة، ولاسيما لدى نخبها المثقفة ومدى إحساسهم بالروح الإسلامية الجامعة تجاه سقوط دولة الخلافة العثمانية، أنهم قد أرسلوا برقية - بمناسبة انعقاد المؤتمر الإسلامي بالقاهرة يوم 1926/05/13م، والمسمى بمؤتمر الخلافة الإسلامية - إلى رئيس مكتب المؤتمر وإلى مفتي الأهالي المسلمين الجزائريين الرسمي الشيخ " المولود بن الموهوب " يوم 1926/05/04 بالجزائر العاصمة [4] مؤيدين المؤتمرين المحين لمجد الخلافة الآفل، ومنبهينهم إلى المخاطر الجمة التي سيواجهها المسلمون من جراء عدم تعيين الخليفة الإسلامي، بعد إلغاء منصب الخلافة والسلطنة، وإعلان قيام الدولة العلمانية في تركيا، التي تعادي الإسلام وتاريخه وماضيه وحضارته، بقيادة " مصطفى كمال أتاتورك " وأنصاره من يهود الدونمة وأعضاء حزب الاتحاد والترقي . [5]

---

[1] - الشيخ المولود الزريبي البسكري، من مواليد بلدة زريبة الوادي بالقرب من بسكرة، درس في الأزهر ثم عاد إلى الجزائر معلما ومصلحا وأسس الصحف ومنها صحيفة الصديق . تولى التدريس بالجامع الأعظم بالعاصمة، وتوفي سنة 1925م بعد ترك العديد من المؤلفات . انظر : عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج 1، ص 27 .

[2]- انظر: محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، دمشق، الطبعة الأولى، 1965م، ص 262 ...

[3] - انظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، 1903 - 1931م، ج 2، ص 37، نقلا عن : جريدة البريد الجزائري، عدد 3، 1913/09/12م . وجريدة الصديق، عدد 30، 1921/04/18م .

[4]- الشيخ المولود بن الموهوب ولد بمدينة قسنطينة عام 1861م وبها تعلم ودرس وأسس نادي صالح باي الذي ألقى فيه الكثير من محاضراته الفكرية والعلمية، وكان يلقي دروس الوعظ والإرشاد بالجامع الأخضر وقد تقلب في المناصب إلى أن عين مفتيا رسميا للمذهب المالكي سنة 1908م، وقد نشر العديد من المقالات في الصحف العربية. توفي سنة 1939م . انظر : محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج 1، ص 134 . وغيره من المراجع .

[5] - لمزيد من التوسع انظر ما يلي: حضر الشيخ العربي التبسي وغيره من الطلبة الجزائريين المقيمين بالأزهر الشريف ملتقى الخلافة الإسلامية بالقاهرة أيام 13.. 19 ماي 1926م، وأرسل رسالة إلى أهل تبسة يحثهم فيها على المشاركة في ملتقى الخلافة بأي شكل من الأشكال، ولو بالبرقيات . وقد جاء ملتقى الخلافة الذي عقد تحت إشراف علماء الأزهر، ورقابة الملك (فؤاد الأول) ملك مصر، الذي كان

*** تبسة كما وصفها العلامة ابن باديس :**

وفي صيف سنة 1929م الموافق لشهر جمادى الأولى 1348هـ قام الشيخ عبد الحميد بن باديس بزيارة لربوع الوطن الجزائري للقاء إخوانه العلماء، وحثهم على إنشاء جمعية تصهر جهودهم المتفرقة، بعد استعداد فرنسا لإحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، ومرّ بمدينة تبسة شهر سبتمبر من

يطمح بقوة ليسمى خليفة المسلمين . لاسيما بعد سلسلة الإجراءات الاستئصالية التي دشنها (مصطفى كمال أتاتورك) ضد الخلافة الإسلامية العثمانية. حيث ألغى نظام الـ 20اكتوبر1923م، ليلغي نظام الخلافة نهائيا يوم 02مارس 1934م. مما اضطر المسلمين إلى عقد ملتقى الخلافة بالقاهرة، والذي حضره الشيخ العربي عندما كان في سنته الأخيرة طالبا في الأزهر . وقد أرسل أهل تبسة لمدير تحرير جريدة النجاح بقسنطينة برقية لغرض المشاركة في أشغال ملتقى الخلافة . وقد عنونت جريدة النجاح البرقية تحت عنوان : (حوادث داخلية : مسألة الخلافة . وجاء في تقيمها ما يلي :

لم يبق للموعد المضروب لاجتماع مؤتمر الخلافة بالقاهرة إلا سبعة أيام، وقد تعذرت مشاركة الشعب الجزائري الفعلية بهذا المؤتمر، وتعينت النظرية الثانية التي ألمع إليها حضرة الأستاذ الشيخ (الحافظي)، وهي الاقتصار على الإبراق إلى أساتذة جزائريين محرزين على الشهادة العالمية بالأزهر الشريف . وذلك بعد أن توافينا برقيات من مختلف الأنحاء بالقطر الجزائري . وقد كان الظن أن تتحرك الأمة نحو هذه الحركة الدينية الخالصة، ولكن العزائم لم تكن ماضية لحد أن اعتبر هذا المؤتمر كاجتماع بسيط .

وهذا تلخيص مدير تحرير جريدة النجاح لبرقية أهل تبسة قبل نشرها : (ولتمثيل مسلمي تبسة في المؤتمر الذي سينعقد يوم 13ماي الجاري بالقاهرة لأجل تعين الخليفة، ونحن نترك لكم تمام الحرية في العمل لمصلحة المسلمين .

الإمضاء : مسلمو تبسة) . وهذا نص برقية أهل تبسة الموقعة باسمهم بعد تقديم أدبي من مدير التحرير : (تبسة يوم 04 ماي1926م : عبد الحفيظ مدير جريدة النجاح بقسنطينة . نرغب منكم بإلحاح أن تبادروا باستعمال كل الوسائل الناجعة لتمثيل مسلمي تبسة في المؤتمر الذي سيعقد يوم13ماي الجاري بالقاهرة لأجل تعيين الخليفة ونحن نترك لكم تمام الحرية في العمل لمصلحة المسلمين . الإمضاء: مسلمو تبسة).

* راجع : مسألة الخلافة، جريدة النجاح، عدد 295 ، 24 شوال 1344 هـ، الموافق 07 ماي1926م، ص 2 .

* راجع : برقية أهل تبسة، جريدة النجاح، عدد 296، 30 شوال1344 هـ، الموافق 14 ماي1926م، ص 2 .

* عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، دار قصر الكتاب، البليدة، الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 23 .. ثم حوار مع الشيخ الحفصي شقيق الشيخ، تبسة شهر جوان 1997م، حول حضور الشيخ للمؤتمر .

سنة 1929م، ودوّن لزيارته تلك، ونشرها في جريدة الشهاب [1]، وجاء في مقاله المعنون بـ " للتعارف والتذكير ": فقال : ((وأتانا صباحا السيد المكي بن شعبان بسيارة فامتطيناها إلى تبسة، فصادفنا عند وصولنا إليها السيد الصادق بوذراع كأنما كان في انتظارنا، ونزلنا بالبناية التي يعلم فيها الأستاذ العربي بن بلقاسم، ويأوي إليها الضيوف من أهل العلم . الأستاذ العربي ابن الزيتونة والأزهر مشارك مشاركة قوية في علوم الشريعة والأدب، ذكي الفؤاد، صحيح الفكر والعلم، فصيح اللسان، محجاج قوي الحجة، حلو العبارة، شديد الحب لدينه ووطنه، شديد في الدفاع عنهما . هذا الأستاذ نعمة من نعم الله على تبسة، ولكن تبسة – رغم ما فيها من ذكاء وتقدم ومحبة في العلم – ما قدرتها قدرها . وإلاّ فكيف لا يؤسسون لهذا الأستاذ مدرسة لتعليم أبنائهم لغتهم ودينهم كما يتعلمون اللغة الفرنسية وعلومها، فيكملون فيهما . هنالك أفراد يدركون هذا النقص والتقصير فعسام أن يتداركوه ولو بتحمل المشاق والأتعاب .ومن أعيان تبسة وعلمائها الأستاذ العربي الجلالي المتطوع بجامع الزيتونة، يجمع بين العلم والفضل واللطف والذكاء وحسن السمت . ويزدان جامع تبسة بإمامه العلامة الفقيه الخير الشيخ سليمان الطيار خريج أستاذنا المنعم الشيخ حمدان الونيسي دفين طيبة الطيبة . ويتحلى جنابه بسكينة ووقار ورزانة، جمعت عليه القلوب، فهو موئلهم الديني في جميع مهماتهم ومرجعهم في نوازلهم .

اقترح الأستاذ العربي إلقاء درس فألقيته بالجامع بعد صلاة العشاء، وكان موضوعه : الإصلاح، ففسرت معناه لغة، وبينت لزمه والحاجة إليه في شأن الأفراد والأمم، ودعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام إليه حتى انتهيت إلى نبينا عليه الصلاة والسلام، وصورت ما كان قبله من فساد الجاهلية في شركها ووثنيتها وما كانت عليه الأمم الأخرى مثلها . وبينت ما جاء به الإسلام من إصلاحها وما طرأ بعد الإسلام من فساد، وما عدنا إليه من سنن الأمم قبلنا ما علينا – جماعات وأفرادا – من القيام بالإصلاح الفردي والاجتماعي، وطبقت ذلك على التوبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ما يناسب هذا وما يؤيده من آيات وأحاديث وآثار، وحضر الدرس جميع طبقات الناس، وكان له – إن شاء الله – أثر محمود . كان من حسن الحظ أن صادفت بتبسة العالم الفقيه الشيخ محمد بن أحمد النفطي تلميذ الأستاذ المنعم الشيخ محمد بن إبراهيم، فكانت المجالس تزدان بنكته اللطيفة ومباحثه العلمية، وكان مما قاله لي عن الدرس : " إنك بينت شرك الجاهلية وقبيح أعمالها التي تشابهها أحوال حاضرة كثيرة . ولم تقل للناس إنكم أنتم تفعلون كذا وكذا وهو مثل فعل

[1] - نقلا عن : جريدة الشهاب، الجزء 10، المجلد 5، غرة جمادى الثانية 1348هـ الموافق نوفمبر 1929م .

الجاهلية "، فقلت لحضرته : " إن كل أحد يعلم حالته حق العلم، وكل أحد يستقبح أفعال الجاهلية وينفر منها، فإذا صورت لهم حال الجاهلية وأشرت إلى الحال الحاضرة وأدركوا قبحها من أنفسهم بالضرورة فيكونون قد حكموا على أنفسهم بدون أن يعتبروني مقرعا ومقبحا لهم فتثور فيهم عصبيتهم وحميتهم فتحول بينهم وبين الاستفادة مني " . أنا أريد نفعهم فأسألك ما أراه أقرب الطرق الموصلة إليه . هذا معنى ما دار بيني وبين الأستاذ حفظه الله، وقد فهمت منه الرجوع إلي .

*** في كل واد أثر من ثعلبة :**

في تبسة – كغيرها – سوء أثر الانتخابات من فرقة واختلاف، ولقد كان المختلفون يجتمعون في مجلسنا وكنت أنصح لهم بأنه إذا كانت ثم عداوات شخصية فيجب أن تقصر على أشخاص أصحابها، ولا يجوز أن يتعدى ضررها لأمر عام . وأحسب أن هذا النصح كان مقبولا عندهم . ولولا غياب بعض أعيان وكبار المتخالفين لكنت سعيت في إزالة تلك العداوات الشخصية، وعساهم إذا كفوا شر العداوة عن العموم أن تزول – إن شاء الله – من الخصوص .

وقد أعجبني النائب البلدي والعمالي لتبسة السيد علي عباس، أعجبني نشاطه وإخلاصه وحسن سياسته في الإدارات لمصالح منوبيه، فمن ذلك سعيه – مع زملائه الكرام – لدى البلدية حتى اشترت عشر نسخ من تاريخ الجزائر للأستاذ مبارك الميلي ووزعتها على التلامذة المسلمين، واشتركت معنا في مجلة " الشهاب " ولو أن البلديات الأخرى سعى مثله فيها مثل سعيه لكان هناك تنشيط كثير للآداب والكتاب .

ولقسنطينة ابن بار في تبسة، وهو السيد عمر بن نابي خوجة الحاكم، فهو الرجل المحبوب من جميع الناس، فرنسيين ومسلمين، بأدبه وعلمه وإحسانه، وهو السباق لكل مشروع يرى فيه خيرا ومنفعة فيؤيده بماله وجاهه بغاية ما يقدر عليه . ورجال كثيرون في تبسة ذوو حياة وعمل وغيرة دينية وقومية نسأل الله أن يتمم عليهم بنعمة الوفاق الذي هو إكسير التقدم والرقي .

وقد ضفت عند الأستاذ العربي، والسيد علي عباس، والشيخ عبد الحميد شاوش النائب البلدي، والسيد الصادق العقيد التاجر الكبير الداعي إلى الوفاق دائما والاتحاد، وشيعوني صبيحة يوم الجمعة إلى المحطة وودعتهم شاكرا داعيا . " [1] .

*** تبسة مدينة العلم :**

[1] - انظر : المصدر السابق نفسه .

كما كانت مدينة تبسة أول حاضنة لطلبة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد وفاته سنة 1940م، حيث استقبل أهلها ومسجدها وشيوخها برئاسة الشيخ العربي التبسي طلاب حلقات العلم الباديس سنة 1941م، بعد تعذر استمرارها في قسنطينة، وبعد تضييق الإدارة الاستعمارية الخناق عليه . وهذا إجمال لمآثر المدينة وأهلها في احتضان طلبة العلم، وتحولها إلى قبلة للعلم ولطلبته .

فكما هو معلوم فقد بدأ الإمام عبد الحميد بن باديس في إلقاء دروس في التفسير بعد عودته من جامع الزيتونة سنة 1913م 1331هـ في الجامع الأخضر بقسنطينة وانتهى من تفسيره شهر أفريل 1938م 1357هـ وأقيمت على شرف ختمه للتفسير احتفالات ضخمة بمدينة قسنطينة دامت أسبوعا، وقد حضرت وفود من مختلف الجزائر للاحتفال بهذه المناسبة الدينية السعيدة، وقد أصدرت مجلة الشهاب عددا خاصا بهذه المناسبة سجلت فيه آخر درس في التفسير ألقاه الشيخ عبد الحميد في تفسير المعوذتين سجلهما الشيخ البشير الإبراهيمي بقلمه الراقي، كما سجلت فيهما كل ما قيل من الكلمات، والخطب في الاحتفالات المذكورة . [1]

واستمر الإمام عبد الحميد في إلقاء دروس التفسير على طلبة الجامع الأخضر، ومسجد سيدي بومعزة ومسجد سيدي كموش بقسنطينة، إلى أن توفاه الله تعالى يوم الثلاثاء 08/ربيع1/1359هـ الموافق 1940/04/16م . [2]

وبعد وفاة الإمام عبد الحميد بن باديس اجتمع المجلس الإداري لجمعية العلماء يوم 1940/04/17م وبمناسبة تواجدهم بقسنطينة بعد تأبين الشيخ ابن باديس برئاسة الشيخ العربي درسوا العديد من القضايا وعلى رأسها خلافة ابن باديس في منصب رئاسة الجمعية، وفي مهامه التربوية والتعليمية والدعوية، فاختير الشيخ البشير الإبراهيمي المعتقل في آفلو رئيسا كما اختير نائبه الشيخ مبارك الميلي لإدارة شؤون الجمعية، كما اختير الشيخ مبارك الميلي لتدريس مادة التفسير لطلبة ابن باديس [3]، ولكن المرض العضال الذي أصابه أقعده البيت مما دفع المجلس الإداري للجمعية في اجتماعهم السنوي شهر سبتمبر

---

[1] - انظر : محمد الصالح الصديق، في ذكرى الشيخ العربي التبسي، جريدة العقيدة، عدد 189، الأربعاء 02/ذوالقعدة/ 1414هـ الموافق 1994/04/13م، ص 7 .

[2] - انظر مجلة الشهاب، ج 4، م 14، عدد جوان 1938م الموافق جمادى 1، 1357هـ . ومجلة الشهاب، ج 5، م 14، عدد جويلية 1938م الموافق جمادى 2، 1357هـ .

[3] - انظر : أحمد حماني، افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، سل 2، السنة 2، عدد 108، الإثنين 05/جانفي/1948م الموافق لـ 22/صفر/1367هـ . ص 1 . وتركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 3، 1981م، ص 195 .

1941م إلى إسناد تدريس مادة التفسير إلى الشيخ العربي التبسي فقام بها خير قيام، ونظرا لظروف التضييق المضروبة عليه من طرف الإدارة الاستعمارية تقرر أن يتنقل إليه طلاب الجامع الأخضر وجامع سيدي كموش وسيدي بومعزة إلى مدينة تبسة [1]، وقد ذكر بهذه الحقيقة الشيخ أحمد حماني في مقاله الذي كتبه في جريدة البصائر سنة 1948م [2] بمناسبة افتتاح دروس المعهد الباديسي حيث كتب، فقال : ((.. وظلت دروس التفسير بمدينة تبسة منذ وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما أقعد المرض الشيخ مبارك الميلي إلى حوادث 08/ماي/1945م حيث أخرج تلامذة الجامع الأخضر وجامع سيدي كموش وسيدي بومعزة من مدينة تبسة، وكتب على بطاقة كل واحد منهم ملاحظة (مبعد) [3]، واعتقل يومها الشيخ العربي التبسي، وأودع السجن مع إخوانه من رجال جمعية العلماء قرابة العام ..)) . [4]

كما أشار إلى هذه الحقيقة أيضا الشيخ أحمد بن ذياب المعاصر للأحداث، حيث كتب فقال : ((.. وبعد وفاة الإمام ابن باديس عام 1940م اضطلع بمهامه العديدة أصحابه من رجال الجمعية، ومن بينها دروسه في التفسير، التي تحمل عبأها الشيخ مبارك الميلي لمدة سنة واحدة 1940-1941م حتى دب إليه وهن المرض العضال فقام الإمام الشيخ العربي التبسي بالمهمة من بعده، وتحول الطلاب من مسجدي سيدي كموش وسيدي بومعزة والأخضر إلى مسجد المدرسة بتبسة سنة 1941م لأسباب الحجز والإقامة الجبرية التي فرضت على الشيخ بمدينة تبسة، وهكذا تحولت تبسة - وبفضل جهود الشيخ العربي- قبلة ثانية لطلاب العلم وعشاق الأدب ورواد الإصلاح الديني، وأعلن في الجزائر

---

[1] - أنظر تقرير أمني سري دوري صادر عن أمن قسنطينة . تقرير شهر جوان 1940م. ثم تقرير شهر نوفمبر 1940م . انظر تقرير أمني سري دوري صادرعن القيادة والأركان العسكرية المكتب 3 الناحية 19 قسنطينة تقرير شهر أفريل 1940 .

[2] - انظر : تقرير بوليسي أمني . دوري سري صادر عن أمن قسنطينة . تقرير شهر جوان 1940 م . تقرير شهر سبتمبر 1941م، تقرير سبتمبر 1942م . وأحمد حماني، افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، جريدة البصائر، سل 2، السنة 2، عدد 108، الاثنين في 22/صفر/1367هـ الموافق 05/جانفي/1948م، ص 1 .

[3] - مبعد : إشارة أمنية توضع في بطاقة المنفيين والمبعدين من بعض نواحي القطر الجزائري، يحظر على المختوم في بطاقته الدخول ثانية إلى المنطقة المبعد منها، ومن وجد ثانية في تفتيش بوليسي يخضع لطائلة العقوبات .

[4] - انظر : تقرير بوليسي أمني . دوري سري صادر عن أمن قسنطينة . تقرير شهر جوان 1940 م . تقرير شهر سبتمبر 1941م، تقرير سبتمبر 1942م . وأحمد حماني، افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، جريدة البصائر، سل 2، السنة 2، عدد 108، الاثنين في 22/صفر/1367هـ الموافق 05/جانفي/1948م، ص 1 .

أن تبسة ومدرستها وجامعها ورحابها هي قسنطينة بالأمس وأن الشيخ العربي هو خليفة ابن باديس في هذا الميدان)) . [1]

وقد أصدرت يومها جمعية التربية والتعليم بقسنطينة [2] إعلانا موجها إلى طلاب الجامع الأخضر ومسجد سيدي بومعزة وسيدي كموش، وعلقته بمداخل المساجد الثلاثة يوم 15/رمضان/1359هـ الموافق 1941/10/06م، تعلن فيه عن انتقال دروس التفسير التي كان يقوم بها الشيخ ابن باديس في قسنطينة إلى مدينة تبسة بعد أن تعذر استمرار دروس التفسير فيها سنة وفاته . كما تعذر أيضا استمرار الدروس في السنة الموالية لعجز الشيخ مبارك الميلي عن القيام بمهمة التدريس للمرض العضال الذي أقعده فانتقلت الدروس إلى مدينة تبسة ليضطلع بها الشيخ العربي التبسي، الذي تطوع مشكورا ابتداء من يوم 1941/11/01م الموافق 11/شوال/1359هـ . [3]

كما جددت الجمعية إصدار نفس الإعلان وبنفس الصياغة دون أن تبدل فيه في السنة الموالية، وفي بداية العام الدراسي مؤرخا يوم 13/شوال/1361هـ 1942/10/23م حاثة كل الطلاب لحمل حقائبهم، والالتحاق بمدينة تبسة لمواصلة دروس التفسير [4]، كما لم ينس الإعلانان حث المتبرعين من أهل الإحسان والفضل للتبرع بأموالهم من أجل تغطية نفقات تلك الدروس، وكذلك إقامة الطلاب واستمرار تلك الدروس مرفقة الإعلانين بجداول مفصلة عن المداخيل من تبرعات أهل الإحسان بأسمائهم، وكذلك عن المصروفات . [5]

---

[1]- انظر : أحمد بن ذياب، الشيخ العربي والنهضة العلمية في الجزائر، مجلة الأصالة، الجزائر، عدد 8، ص 267 و 268 . وأحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 6 .

[2] - جمعية التربية والتعليم جمعية أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، وكان يرأسها المرحوم أحمد بوشمال .

[3]- انظر نسخة الإعلان الأول المؤرخ يوم 15/رمضان/1359 هـ الموافق 1941/10/06م .

[4]-انظر نسخة الإعلان الثاني المؤرخ يوم 13/شوال/1361 هـ الموافق 1942/10/23م في قسم الملحق . وتقرير أمني سري دوري صادر عن القيادة والأركان العسكرية قسنطينة الناحية التاسعة عشر، المكتب الثالث، تقرير 15 .. 30 سبتمبر 1942م، وقد أشار التقرير إلى قيام الشيخ العربي التبسي رفقة الخيرين (شريط لوكسي) و (حواس عبد العزيز) بأعمال الخير في المنطقة وسبق لحواس حواس هذا أن نوهت به جريدة النجاح في عشرينات القرن الماضي بما يبذله من المال في الخيرات .

[5] - وهذا نص الإعلان مع فارق التأريخ للإعلان الأول، والثاني يمكن مراجعته في قسم الملحق .

وقد توقفت دروس التفسير سنة 1943م 1362هـ بعد حبك مؤامرة دنيئة للشيخ يوم 1943/03/23م بتهمة التعاون مع الألمان وسيق إلى السجن العسكري بقسنطينة، ثم إلى السجن المدني بالكدية وبقي فيه ستة أشهر كاملة ليخرج في أواخر سبتمبر 1943م [1]، ولتتعثر ثانية سنتي 1944- 1945م، ولتنتهي بتشتيت شمل الطلبة واعتقال الشيخ العربي التبسي في حوادث 08/ماي/1945م المأسوية. [2]

*** وخلاصة الوعي التبسي :**

وختام القول في هذا المبحث اكتشافنا وعي أهل تبسة الحضاري في تنويع وسائلهم الدعوية، وفعاليتهم في استخدام مثل هذه المرافق التي ابتدعها الغرب الاستعماري، وأفاد منها الكثير في توعية شعوبه وقواه الحية، أو في تضليل القوى الحية في الأمم المستعمرة .

كما تبين لنا فقههم لفاعلية الوسيلة ولنجاعة نتائجها، ولأدوات المعركة الحضارية مع القوى الاستعمارية فتوسع في استخدام أدواتها ووسائلها، كما بين لنا أيضا فقهه لطبيعة الحرب الثقافية الشرسة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية عامة والجزائرية خاصة، وصمودها وصبرها الجميل وجهادها الدعوي المرير ضد الاستعمار ومؤسساته الثقافية والدينية والتبشيرية والتربوية والإعلامية، التي ناوؤها العداء بالمثلية فبزوها، ونافسهوها بالحق واليقين بنفس ما برعت به من تضليل وباطل فغلبوها . فآتت كل أعمالهم نتائجها، وأسفر الظلام الطويل عن صبح مشرق بالاستقلال .

وهاهي اليوم تحكي وتشهد على حكمة الله القائلة في القرى التي بطرت معيشتها وظلمت نفسها : **{ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلاّ قليلا وكنا نحن الوارثين * وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون* }** (القصص : 58، 59) . ولا غالب إلاّ الله.

---

[1] - حوار مع الحاج بوعلي ظريف صديق الشيخ في القضية، والذي سجن معه في سجن الكدية بمنزله شهر أفريل 1993م .

[2]- انظر: أحمد حماني، افتتاح معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، جريدة البصائر، سل 2، السنة 2، عدد 108، ص 1 .